

كتاب الحجارة

٤١٤١١

أم المؤمنين
عائشة بنت الصديق
رضي الله عنها

* جاء جبريل عليه السلام بصورة عائشة في خرقه خضراء إلى النبي
ﷺ وقال: «هذه زوجك في الدنيا والأخر»،
* «إنه ليهون على أني رأيت بياض ثحف عائشة في الجنة»
حديث شريف

تجد عدداً من القصص والسير
في موقع المفكرة الداعوية
www.dawahmemo.com

عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

النَّجْرُونَ الْطَّيِّبَةُ :

* سأله عمرو بن العاص - رضي الله عنه - رسول الله ﷺ :
أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: «عائشة»، قال:
فمن الرجال؟ قال: «أبوها».

* والنبي الكريم ﷺ لا يحب إلا طيباً، فقد أحب أفضل
رجلٍ من أمه، وأفضل امرأة من أمه، ومن أحب حبيبـي
رسول الله ﷺ فهو حري أن يكون حبيباً إلى الله ورسوله.

* وحبيبة رسول الله ﷺ هي عائشة بنت الصديق الأكبر،
خليفة رسول الله ﷺ، أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة
القرشية التيمية المكية النبوية أم المؤمنين زوجة النبي ﷺ^(١).

* وأم عائشة هي أم رومان بنت عامر بن عويم الكنانية.

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٢/١٣٥).

وهي من أهل الجنة.

* وأخوها الشَّقيق عبد الرحمن، واحدٌ من أبطال الإسلام.
* وأخواها لأبيها عبد الله ومحمد، من فرسان مدرسة النُّبوة ونجائبها.

* في هذا البيت البكري الطَّيب، بيت الصَّدق والإيمان، ولدت عائشة بمكَّة قبل الهجرة بسبعين سنة، فهي من ولد في الإسلام، وكانت تقول: لم أعقل أبي إلا وهما يدينان الدين.

* من هذه الشَّجرة الزَّكية أنبَت الله عائشة نباتاً حسناً، وكان لها شأن عظيم بين نساء الإسلام.

الصَّديقان:

* كان الإمام مسروق بن عبد الرحمن الهمданى الكوفى التابعى الجليل إذا حدث عن عائشة قال: حدثتني الصَّديقة بنت الصَّديق، حبيبة حبيب الله، المرأة في كتاب الله^(١).

* هذه الصَّديقة رضعت لبان الصَّدق من أبويهما، وتغذت على مائدة النَّبِيَّ المُحَمَّدِيَّة، فلا عجب أن تكون فريدة بين النساء، وأن تحظى بحب رسول الله ﷺ لها؛ إذ جمعت كل

(١) انظر حلية الأولياء (٤٤/٢)، وتهذيب الأسماء واللغات (٣٥١/٢).

صفات الخير من جميع أطرافه، ولذلك حظيت بلقب الصديقة.

* والله در أبي نعيم عندما وصفها بقوله: الصديقة بنت الصديق، العتيقة بنت العتيق، حبيبة الحبيب، وأليفة القريب، سيد المرسلين محمد الخطيب، المرأة من العيوب، المرأة من ارتياح القلوب، لرؤيتها جبريل رسول علام الغيوب، عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها.

* وجمعت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - من العلم والفضل ما جعلها مثلاً طيباً في هذا المضمار، إذ تركت في الدنيا آثاراً مباركةً ما تزال قائمة إلى ما شاء الله.

الصَّدِيقَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ :

* هذا اللقب العظيم - أم المؤمنين - حظيت به عائشة من الله سبحانه، حيث كان تزويج النبي ﷺ بها يوحى من الله؛ إثر وفاة الطاهرة خديجة - رضي الله عنها وأرضها -.

وقد تحدثَ النبي ﷺ عن هذا حينما قال لأمنا عائشة: «أُرِيتُكِ فِي النَّاسِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، جَاءَنِي بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرْقَةٍ مِّنْ حَرِيرٍ، فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَأَكَشِّفُ عَنْ وَجْهِكِ إِذَا أَنْتِ هِيَ، فَاقُولُ: إِنِّي أَنْتَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِيهِ»⁽¹⁾.

(1) الحديث متفق عليه، ورواه كذلك الإمام أحمد في مسنده.

لنبينا ﷺ، ورفعها بذلك مكاناً علياً، وأضحي النبي الكريم ﷺ يوصي بها أمّها قائلاً: «يا أمَّ رومان استوصي بعائشة خيراً واحفظيني فيها».

* ولما حان الوقت المناسب، جاء رسول الله ﷺ، وعقد على عائشة، وأصدقها أربعون درهم، وسَعِد الصَّدِيقُ بهذا النسب الذي زاده طيباً إلى طيب.

* ورحل الصَّدِيقُ عن مكة إلى المدينة مهاجراً بصحبة رسول الله ﷺ، ولم يعلم بهذه الهجرة المباركة إلا سيدنا علي بن أبي طالب وآل الصَّدِيقِ رضي الله عنهم، وعندما وصل الرسول ﷺ أرسل في طلب أهله، وبعث أبو بكر في طلب أسرته أيضاً، وقدمت الأسرتان، وكانت العناية الإلهية تحيط بهما.

* وقد أكرم الله سبحانه عروس النبي ﷺ بمكرمة مباركة، إذ نفر جمل عائشة فجعلت أمّها تقول: وابتاه واعروساه، وفجأة هدا الجمل وسلم الله سبحانه، وتتابعت القافلة المسيرة حتى دخلت المدينة، ونزلت عائشة مع عيال أبيها في دار بنى الحارث بن الخزرج.

الحدثُ السعيدُ:

* في رمضان من السنة الثانية للهجرة، نصر الله المؤمنين

في يَدْرِ، وسُرِّي المُفْرَحُ فِي أَرْجَاءِ الْمَدِينَةِ بِهَذَا النَّصْرِ الْعَظِيمِ،
وَفِي شَهْرٍ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ تَفَسَّهَا، اتَّقْلَتْ عَائِشَةُ مِنْ رَوْضَةِ
أَبِيهَا إِلَى بَيْتِ الزَّوْجِيَّةِ، بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ، وَسَكَنَتْ
فِي حَجَرَةِ مَلَاصِقَةِ لِلْمَسْجِدِ الْأَبْوَيِّ الشَّرِيفِ، وَكَثُرَّاً هُرَسَّا
اللَّهُمَّ أَمْ أَمْ عَبْدُ اللَّهِ^(۱).

* كَانَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - عَنْدَمَا زُرْتَ إِلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَ السَّنَنِ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقْدِرُ ذَلِكَ،
فَكَانَتْ تَلْعَبُ بِاللَّعْبِ مَعَ صَوْرِيَّحَاتِهَا، وَكَانَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْسَلُهُنَّ إِلَيْهَا لِيَلْعَبَنَّ مَعَهَا.

* رَوَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - سَرُورَ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَرُورِهَا فَقَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ
- الْلَّعْبُ - فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا عَائِشَةَ؟»
فَقَلَتْ: خَيْلٌ سَلِيمَانٌ وَلَهَا أَجْنَحةٌ. فَضَحِكَ^(۲).

حَبِيبَةُ الْحَبِيبِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

* كَانَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - اِمْرَأَةٌ
بِيَضَاءِ جَمِيلَةٍ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكْرًا غَيْرَهَا، وَلَا أَحَبَّ
إِمْرَأَةً حَبِيبَةً، قَالَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ - رَحْمَهُ اللَّهُ - :

(۱) انظر الفتح الرباني (۱۲/۲۲ و ۱۱/۲۲).

(۲) الطبقات (۸/۶۲).

امرأة أعلم منها ونشهد أنها زوجة نبينا صلوات الله عليه في الدنيا والآخرة، فهل فوق ذلك مفخر^(١)؟

* ومن بركات حبيبة العبيب صلوات الله عليه، أن حجرتها الشريفة أصبحت مهبط الوحي، لكثرة الوحي الذي هبط على النبي صلوات الله عليه فيها، فأكرم بالحبيبة ويحرجتها!

* احتلت أمّنا عائشة - رضي الله عنها - في قلب النبي الكريم منزلة عظيمة في المحبة لم تسبقها إليه إلا أمّنا خديجة بنت خويلد - رضوان الله عليها - ، وقد عرف الصحابة الكرام لعائشة هذه المنزلة المباركة، فأكثروا ذلك لها، أضعف إلى هذا، أن أمّهات المؤمنين قد اعترفن لعائشة بهذه المكانة، وفي مقدمتهن أمّ المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - .

من مَكَارِمِهَا:

* حظيت أمّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بفضائل باهرة لم تحظ بها امرأة من نساء المسلمين قطّ، وكل فضيلة من هذه الفضائل جديرة بأن يجعل أي امرأة تطاول عنان السماء.

* لنسمع إلى أمّنا تروي ما رُزقت به من مكارم حسان

(١) سير أعلام النبلاء (٢/١٤٠).

فتقول: لقد أعطيتُ تسعًا ما أعطيتها امرأة بعد مريم بنت عمران؛

* لقد نزل جبريلُ بصورتي في راحته؛ حتى أمرَ رسول الله ﷺ أنْ يتزوجني، ولقد تزوجني بكرًا، وما تزوج بكرًا غيري.

* ولقد قبضَ ورأسه في حجري.

* ولقد قبرته في بيتي.

* ولقد حفَّت الملائكةُ بيتي؛ وإنْ كان الوحي لينزل عليه وإنِّي لمعنة في لحافه.

* وإنِّي لابنة خليفته وصديقه.

* ولقد نزل عذري من السماء.

* ولقد خلقت طيبة عند طيب.

* ولقد وعدت مغفرةً ورزقاً كريماً^(١).

* وما أجمل ما قاله الشيخ عبد القادر الجيلاني، على لسان أمّنا عائشة من قصيدة لطيفة:

إني خصصت على لسان محمد
بصفاتٍ برٌ تختهن معاني
وبسبعين إلى الفضائل كلها
فالسبق سبقي والعنان عناني

(١) انظر مجمع الروايات (٢٤١/٩)، وسير أعلام النبلاء (٢/١٤١)، وتفسير الكشاف (٣٢٥/٢)، وتهذيب الأسماء واللغات (٣٥١/٢).

وأَتَاهُ جَبْرِيلُ الْأَمِينُ بِصُورَتِي
فَأَحَبَّنِي الْمُخْتَارُ حِينَ رَأَنِي
وَأَنَا ابْنَةُ الصَّدِيقِ صَاحِبِ الْأَمْدِ
وَحَبِيبَةُ فِي السُّرِّ وَالْإِعْلَانِ

* ومن مكارم عائشة - رضي الله عنها - حب النبي ﷺ لها جباراً مستفيضاً، ومما يدل على ذلك أن الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - كانوا يتحرون بهداياهم يومها تقرباً إلى مرضاته ﷺ، فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهدى بها له آخرها حتى إذا كان في بيته عائشة بعث بها إلى رسول الله ﷺ، فتكلم نساء النبي وقلن لأم سلمة أم المؤمنين أن يكلم رسول الله ﷺ الناس أن يهدوا له أينما كان، فذكرت أم سلمة له ذلك، فسكت ولم يرد عليها، فعادت الثانية فلم يرد عليها، فلما كانت الثالثة قال: «يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل علي الوحى وأنا في لحاف امرأة منكן غيرها»^(١).

* وكانت عائشة - رضي الله عنها - تعرف مكانتها الأثيرة في قلب النبي الكريم ﷺ، وتعتبر هذا من المكارم التي جهاها الله بها، وكانت تتحدث عن هذه النعم فتقول: إن من

(١) أخرجه البخاري ومسلم، وانظر صفة الصفة (٢/١٩).

نعم الله على أن رسول الله توفي في بيتي وبين سحري ونحري^(١).

من فضائلها:

* لأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فضائل ومزايا خصها الله بها، فنالت بذلك المترفة الرفيعة عند رسول الله ، ولذا قال عنها مثيراً إلى فضلها «إنها ابنة أبي يكر»^(٢).

ومن كأبي يكر رضي الله عنه؟ أليس هو الصديق الأكبر صفي النبي ؟ ومن لو اتَّخذ خليلاً لاتَّخذه خليلاً؟ أليس الصديق كالغيث أينما حل نفع؟. ورحم الله من قال:

لَا تفْضُلْ عَلَى الْعَتِيقِ^(٣) صَدِيقاً
فَهُوَ صَدِيقُ أَحْمَدَ الْمُخْتَارِ
وَإِنْ ارْتَبَتْ فِي الْأَحَادِيثِ فَاقْرَأْ
«ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ»

* أولاً يكفي هذا الفضل عائشة - رضي الله عنها -؟.

(١) الحديث متفق عليه، والمعنى أن رسول الله مات وهو مستند إلى صدرها - رضي الله عنها -.

(٢) رواه الإمام مسلم.

(٣) العتيق: من ألقاب سيدنا أبي يكر رضوان الله عليه.

* ومن فضائل أمّنا عائشة أنها كانت مع رسول الله ﷺ في غزوة بني قريظة، وأن جبريل أهدتها السلام، روت هذا فقالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشـ هـذا جـبرـيلـ وـهـوـ يـقـرـأـ عـلـيـكـ الـسـلـامـ» قالـتـ: وـعـلـيـهـ السـلـامـ وـرـحـمـةـ اللهـ، تـرـىـ مـاـ لـاـ نـرـىـ ياـ رـسـولـ اللهـ»^(١).

* وفضائل أم المؤمنين عائشة ليس لها حضر، وبكيفها فضلاً أن القرآن نزل بسببها خاصة، فهل فوق هذا من فضل؟.

صُورٌ منْ جَهَادِهَا:

* من البركات التي تضم إلى سيرة أم المؤمنين عائشة؛ تلك الصفحات ذات الأربع المعطار التي خطتها في ساحات الجهاد مع رسول الله ﷺ.

* ومما يدعو إلى الوقوف وقفـةـ إعـجابـ، أنـ أمـناـ عـائـشـةـ كانتـ تـشارـكـ فـيـ الجـهـادـ كـأـيـ اـمـرـأـ دونـ تمـيـزـ، وـذـلـكـ ضـمـنـ

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذني.

(٢) الحديث رواه البخاري في بضعة مواضع من صحيحه، ورواه الإمام مسلم والترمذني وأبو داود، وانظر الدر المثمر للسيوطى (٦/١٧٠).

الحدود التي وضعها الشرع من سقایة الماء، وتمريرضن
الجرحى، وإعداد الطعام... .

* ففي أُحد كانت عائشة - رضي الله عنها - تشارك في حمل الماء على عاتقها لسقاية المجاهدين، وكانت ما تزال صغيرة السن، ولكنها شاركت للمرة الأولى في هذه الغزوة؛ روى سيدنا أنس بن مالك - رضي الله عنه - مهمة أم المؤمنين في هذه الغزوة فقال:

ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر، وأم سليم، وإنهما لم يمشمرتان؛ أرى خدم - خلخال - سوقهما، تنقلان القرب على متنهما ثم تفرغانه في أفواههم، ثم ترجعان فتملاّنها، ثم تجيئان تفرغانه في أفواه القوم^(١).

* وفي غزوة الخندق، كانت لأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - شجاعة نادرة وجرأة مشهورة، حتى إن سيدنا عمر ابن الخطاب أنكر جرأتها لما رأها تقترب من الصنوف الأولى للمجاهدين، وقد تحدثت عائشة عن هذا فقالت: خرجمت يوم الخندق أقوف الناس، فسمعتْ وثيد الأرض ورائي، فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنه، فجلستُ إلى الأرض، فمر سعدٌ وعليه درعٌ من حديد قد خرجت منها أطرافه، فأنا أتخوفُ على أطرافِ سعد، وكان

(١) الحديث متفق عليه، وانظر تاريخ الإسلام للذهبي (٢/١٧٦).

لَبَّثْ قَلِيلًا يَدْرِكُ الْهَيْجَا حَمْلٌ
مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجْلُ

فَقَمَتْ فَاقْتَحَمَتْ حَدِيقَةً فَإِذَا فِيهَا نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِذَا
فِيهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَابِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ سَبْعَةُ لَهٖ - تَعْنِي
الْمَغْفِرَةِ - فَقَالَ عُمَرٌ: مَا جَاءَ بِكِ وَاللَّهِ إِنَّكِ لِجَرِيَّةٍ وَمَا يَؤْمِنُكَ
أَنْ يَكُونَ بَلَاءً أَوْ يَكُونَ تَحْرُزًّا، فَمَا زَالَ يَلْوَمُنِي حَتَّى تَمَيَّزَ أَنَّ
الْأَرْضَ فُتُحَتْ سَاعَتَيْنِ فَدَخَلْتُ فِيهَا، فَرَفَعَ الرَّجُلُ السَّبْعَةَ عَنْ
وَجْهِهِ فَإِذَا هُوَ طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: يَا عُمَرُ وَيَحْكُمُ إِنَّكَ
قَدْ أَكْثَرْتَ مِنْذِ الْيَوْمِ وَأَيْنَ التَّحْرُزُ أَوِ الْفَرَارُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى (١)؟!

* وَعِنْدَمَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى غَزْوَةِ بَنِي الْمَصْطَلِقِ، كَانَتْ
عَاشرَةُ مَنْ خَرَجَ سَهْمَهَا، فَخَرَجَتْ لِتَؤْدِي وَاجْبَهَا، وَفِي هَذِهِ
الْغَزْوَةِ امْتُحِنَتْ أَمْنًا عَاشرَةً مَحْنَةً مِنْ أَشَدِّ وَأَقْسَى الْمَحْنِ،
وَلَكِنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ أَدْرَكَهَا بِعِنَايَتِهِ، وَخَرَجَتْ مِنَ الْمَحْنَةِ
بِشَهَادَةِ رَبَانِيَّةٍ مَبَارَكَةٍ، تُتَلَى إِلَى يَوْمِ الدِّينِ فِي بَيْوَتِ أَذْنَ اللَّهِ
أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ وَبَيْتٍ عِلْمٌ عَلَى
وَجْهِ الْأَرْضِ.

(١) انْظُرْ فِي هَذِهِ الْبِدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ (٤/١٢٣)، وَتَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرِ لِلْأَيَّةِ

(٢٧) مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ، وَتَارِيخِ الإِسْلَامِ لِلْذَّهَبِيِّ

(٣٢١ وَ٣٢٢)، وَالْطَّبِقاتِ الْكَبِيرِ (٣/٤٢٢).

عائشة والمحنة الكبرى:

* لم تسترخ نفوس المنافقين الذين رأوا انتصارات الإسلام توسيع يوماً بعد يوم ، ووجدوا أن مكانتهم بدأت تنحسر وتلاشى إلى أن مقتهم مجتمعهم ، فأرادوا - بزعمهم - أن يوجهوا ضربة قاسمة إلى النبي الكريم ﷺ ، فرموا أمّنا الطاهرة الصديقة بنت الصديق بالبهتان العظيم .

* وكان عبد الله بن أبي بن سلول قد تولد النفاق والحسد في قلبه من أول يوم سمع فيه بالإسلام ، وطقق يكيد للنبي ﷺ وللإسلام المكيدة تلو الأخرى ، ولكن حكمة الله سبحانه كانت له وللمنافقين بالمرصاد ، فكانت تلجمهم وتنكبُهم .

* وكان لحديث الإفك وقع أليم على قلب أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ، ومررت عليها وعلى البيت النبوي الطاهر والبيت البكري الصادق أوقات قاسية حرجة ، امتدت إلى شهر من الزمن ، حتى نزل القرآن الكريم بالبراءة للعفيفة الصديقة بنت الصديق ، وتحمل هذه البراءة شهادة مباركة للمؤمن صفوان بن المعطل الذي رُمي بالحديث الآثم ، كما وسمت المنافقين بمبسم الزور والبهتان الذي ظل يلاحقهم إلى النهاية .

وفي السطور التالية نعيش مع البيت النبوي ، ومع أمّنا

* وأود هنا - عزيزي القارئ - أن أقف وقوفات تربوية مع حادث الإفك؛ نتعرف من خلاله التربية القرآنية والتربية التبوية للمرأة والمجتمع.

لُؤمُ الْمُنَافِقِينَ :

* نصر الله سبحانه ورسوله والذين معه على بني المصطلق نصراً مؤزراً، وقد ملا هذا النصر المبارك نفوس المنافقين غيظاً وحقداً، وجعل في قلوبهم غصة كادت تكتم أنفاسهم، فاخترعوا الإفك في مصنع نفاقهم على أم المؤمنين عائشة حبيبة الحبيب ﷺ.

* وكان الذي أشاع الإفك وتولى كبره، الخبيث الفاجر زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، وكانت فتنة عماء كادت تصيب المجتمع المسلم بهزة أليمة، روجها المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ ممْن لم يعمر الإيمان قلوبهم، ومن لا ينكرون ما سمعوه من الحديث الأثم لضعف إيمانهم، ووصفهم الله سبحانه بقوله: «وَفِيمَكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ» [التوبه: ٤٧].

* ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يجعل من هذه الحادثة درساً يليغاً فيه التأديب، وفيه التحذير للنفاق والمنافقين والمرجفين، كما جعل الله من هذه الحادثة كرامة عظيمة

ليرفع من شأن أمّنا عائشة - رضوان الله عليها - ، وأن يُظهر مكانتها في أهل البيت الذي أذهب عنه الرجس وطهّره تطهيراً.

«كيف تَيْكُم»:

* حديث الإفك - عزيزى القارئ - قد رُوى في الصحيحين وكتب السنّة وكتب السيرة، كما رُوى في التفاسير جميعها لسورة النور، وأمّنا عائشة - رضي الله عنها - هي التي روتة، وستقتطفُ من حديثها فقراتٌ كافية، وذلك من حديثها الطويل - وسنعتمد روایة البخاري - قالت - رضي الله عنها - تصف حالتها :

(...) . . . فقدمنا المدينة، فاشتكيتُ حين قدمتُ شهراً، والناسُ يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيءٍ من ذلك، وهو يربيني في وجيبي أنني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنتُ أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل على رسول الله ﷺ ثم يقول: «كيف تَيْكُم». ثم ينصرف . . .).

«كيف تَيْكُم»؟ كلمةٌ خاليةٌ من دفءِ الحبِّ الذي كانت تعهده عائشة - رضي الله عنها - ! وخالية من حرارة الشوق التي كانت تفعّم قلبها الظاهر بالسرور، ماذا جرى؟ يا لها من مصيبة، الأيام تمرُّ، والرسولُ الكريم لا يزيدُ على قوله وسؤاله: «كيف تَيْكُم»؟ ولكن لا بدّ لسحابة الحزن القاتمة

الحقيقة.

الخَبَرُ الْأَلِيمُ :

* كانت عائشة - رضي الله عنها - لا تدرى عن أمر الإفك شيئاً، بيد أنها لاحظت أن الأجواء حولها قد تجهمت بعد عودتها من غزوة بنى المصطلق، فذهبت إلى بيت أبيها، ولما خرجت إلى الخلاء، أخبرتها أم مسطح بن أثاثة بن عباد القرشي المطلاعي يقول أهل الإفك؛ فكاد أن يغمى عليها، وبكت ليلتين و يوماً، ولم تتم حتى كاد البكاء يفت كبدتها، وللتتابع معها بقية الحديث فتقول:

(. . . . فيينا نحن على ذلك، دخل علينا رسول الله ﷺ ، فسلم ثم جلس - ولم يجلس عندي منذ قيل ما قبلها - وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شيء ، فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: «أما بعد: يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت برئته فسييرئك الله، وإن كنت الممتنع بذنب فاستغفري الله وتوببي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه »).

* الله أكبر ما أعظم هذا الكلام! ولكن
عسى الكرب الذي أمسكت فيه
يكون وراءه فرج قريب

* * *

«فَصَبَرْ جَمِيلٌ»:

* كانت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - تصغرى بكل جارحة فيها لقول الحبيب المصطفى ﷺ، وكانت الدموع تحدر من عينيها، ولما قضى النبي الكريم ﷺ حدثه، خيم الصمت على المجلس، وقلص دمعها، ودبّت فيها الجرأة فقالت:

(...) ... فقلت لأمي: أجب رسول الله ﷺ فيما قال.

قال: والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ.

فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال.

قالت: فوالله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ.

فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيراً: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة - والله يعلم إني بريئة - لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم إني منه بريئة - لتصدقوني، والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف^(١) قال: «فَصَبَرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصْفُونَ». . . . [يوسف: ١٨].

* * *

(١) يعقوب عليه السلام.

* آن للحقيقة أنْ تظہر وتنجاح ظلمات الفتنة، فما أتمت
عائشة حديثها، حتى أنزل الله براءتها من فوق سبعة أرقعة،
وهذا البراءة مختومة بخاتم رب العالمين... . قالت عائشة:

(...) فوالله ما رأي رسول الله ﷺ ولا خرج أحدٌ
من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من
البرحاء حتى إله ليتحدر مثل الجuman من العرق - وهو في يوم
شاتٍ - من يقل القول الذي يتزل عليه.

قالت: فلما سُرِي عن رسول الله ﷺ، سُرِي عنه وهو
يضحك، فكانت أول كلمة تكلّم بها: «يا عائشة أما الله عز
وجل فقد برأك».

فقالت أمي: قومي إليه.

فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل.
 وأنزل الله: «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عَصْبَةً مِنْكُمْ لَا
تَحْسِبُوهُ». . العشر الآيات كلها... . (١).

* وهكذا كانت هذه الشهادة الرَّبانية لأمنا عائشة تتزيها
لساحتها، وإعزازاً للنبي الكريم ﷺ، وتكريماً لآل أبي بكر
الذين بلغت منهم المحن شدة هزّ كيانهم، وزللت

(١) انظر الحديث كاملاً في صحيح البخاري (١٢٧/٦) وما بعدها،
وانظر أسباب النزول للواحدي ص (٢٦٥) وما بعدها، والدر المثور
للسيوطى (٦/١٤٠) وما بعدها.

أقدامهم، ووصفتهم عائشة بقولها: والله ما أعلم أهل بيته
دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام.

* وهكذا أكرم الله سبحانه المؤمنين بفضله، ورد كيد
المنافقين إلى نحورهم، والله در الشیخ عبد القادر الجیلانی إذ
يقول على لسان عائشة في هذا المقام:

وتكلم الله العظيم بحجتي
ويراءتي في محكم القرآن
والله في القرآن قد لعنت الذى
بعد البراءة بالقبيح رماي
والله فضلي وعظم حرمتي
وعلى لسان تبئه برائي
والله ويَخْ مِنْ أراد تنقصي
إفكاً وسبّ نفسي في شاني^(١)

* تلك هي فتنة الإفك الخرساء التي أثارها زعيم
المنافقين ورأس النفاق ابن سلول، فخاب سعيه وسعى من
انضوى تحت جناحه المهيض، وحفظ الله أم المؤمنين عائشة

(١) انظر كتاب «المحاسن المجتمعة» ص (٩٣). وقيل: إن هذه
القصيدة لأبي عمر بن موسى بن محمد بن عبد الله الأندلسي
الواعظ في مدح عائشة - رضي الله عنها - .

* * *

شَهَادَاتُ مُبَارَكَةٍ:

* شَهَدَ اللَّهُ سِيْحَانَهُ وَتَعَالَى لِأَمْنَا عَائِشَةَ بِالْبَرَاءَةِ وَالْطَّيْبِ،
وَأَنْزَلَ بِطَهْرِهَا شَهَادَةً لَا تَمْحُورُهَا الْأَيَّامُ، وَأَعْلَى مِنْ مَقَامِهَا فِي
نُفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَنْ يَرَثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.

* وَقَدْ شَهَدَ لَهَا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ بِالْفَضْلِ وَالْخَيْرِ، وَلَا
يُعْرَفُ الْفَضْلُ لِأَهْلِ الْفَضْلِ إِلَّا أُولُو الْفَضْلِ، وَمَنْ أَفْضَلُ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَدْ قَالَ عَنْهَا: «وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِ إِلَّا
خَيْرًا».

* وَأَدَلَّ أَمْهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ شَهَادَاتُ ظَاهِرَةٍ لِعَائِشَةَ، فَلَمْ
يُؤْثِرْ عَنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ أَنْهَا قَالَتْ كَلْمَةً سُوءَ فِيهَا، وَلَمْ
يَؤْمِنْ زَيْنَبُ بْنَتُ جَحْشَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مَوْقِفَ نَبِيلِ
فَوَاحِ بالْبَرَكَةِ، وَذَلِكَ حِينَما سَأَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ عَنِ عَائِشَةَ قَبْلِ
نَزْوَلِ الْوَحْيِ بِبَرَاءَتِهَا فَقَالَ لَهَا: «مَا عَلِمْتِ أَوْ رَأَيْتِ؟»
فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمَيْتِي سَمْعِي وَبَصَرِيْ، وَاللَّهُ مَا رَأَيْتَ
إِلَّا خَيْرًا^(۲).

(۱) انظر الفضول لابن كثير ص (۱۸۲).

(۲) اقْرَأْ هَذَا الْخَبْرَ مَفْصَلًا فِي سِيرَةِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ زَيْنَبِ بْنَتِ جَحْشٍ فِي

* ومدح سيدنا حسان بن ثابت أم المؤمنين عائشة بقصيدة طيبة ذكر فيها طهرها وبعض فضائلها فقال:

حسان رزان ما تُرَنْ بربةٍ
وتُصْبِحُ غرثىٌ من لحوم الغوافلِ
مهذبةٌ قد طَهَرَ الله خيمها^(١)
وطَهَرَها من كلّ بغيٍ وباطلٍ

وقالت كَبِشَةُ بنتُ رافع^(٢) وهي أم الصَّحابيِّ الجليل سعد ابن معاذ - رضي الله عنهما - ، تمدح عائشة وتشهد بفضلها وطيب عنصرها:

تتقى الله في المغيب عليها
نعمَة الله سرُّها ما يرى
خيرُ هدي النساء حالاً ونفساً
وابأ لالعا نِمَاهَا كريماً
للموالِي إذا رَمَوهَا بِإفِيكِ
أخذُهُمْ مقامُ وجحيمُ

= هذا الكتاب فقيه ما يسر النفس.

(١) خيمها: طبعها.

(٢) اقرأ سيرة الصحابة الجليلة كَبِشَةُ بنتُ رافع - أم سعد بن معاذ - في
هذا الكتاب.

في حطام حتى يسول التيم

وقال عروة بن الزبير يشهد بفضل عائشة - رضي الله عنها - : لو لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قصة الإفك لكتفى بها فضلاً وعلوًّا مجدٍ، فإنها نزل فيها من القرآن ما يتلى إلى يوم القيمة^(٢).

* * *

مع القرآن مَرَّةً أُخْرَى:

* من بركات أمّنا عائشة - رضي الله عنها وأرضها - ، نزول آية التيم بسببها تيسيراً على المسلمين، فقد أخرج البخاري رحمة الله عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي، فاقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام بالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة، أقامت برسول الله ﷺ وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟ . فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذني قد نام.

(١) انظر: مجمع الزوائد للهيثمي (٢٣٥/٩).

(٢) انظر: أسد الغابة ترجمة رقم (٧٠٨٥).

قالت عائشة: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني في خاصتي ولا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذني، فقام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم^(١).

* وذكر الذهبي - رحمه الله - أنَّ الله لما أنزل الرخصة للMuslimين بالتيمم جاء سيدنا أبو بكر وقال لعائشة - رضي الله عنها - : والله ما علمت يا بنتي إنك لمباركة! ماذا جعل الله للMuslimين في حبسك إياهم من البركة واليسر^(٢).

* وما أجمل قول الصحابي الجليل سيدنا أسد بن الحضرير في آل أبي بكر عندما نزلت آية التيمم: لقد بارك الله للناس فيكم، يا آل أبي بكر ما أنتم إلا بركة لهم^(٣).

* ولما نزلت آية التخمير كان لأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - موقف يفيض بركته وقناعته وظهرها، فقد بدأ رسول الله ﷺ بسؤالها - وذلك لمحانتها وكرامتها عنده - فقال: «إنني ذاكر لك أمرًا فلا عليك أن تستعجلني حتى تستأمرني أبويك»، وقد علم أنَّ أبوى لم يكونا يأمرانني بفراقه.

قالت: ثم قال: إنَّ الله قال: هيا أيها النبي قُل

(١) صحيح البخاري (٦٤/٦)، وانظر تفسير ابن كثير (٣١/٢)، ومسير أعلام النبلاء (٢/١٧٠)، وانظر كذلك الفتح الرباني (١٢٣/٢٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/١٧١).

(٣) الحديث رواه البخاري (٦٤/٦)، وانظر السيرة الحلبية (٦٢٧/٢).

استامر ابوي ! فابي اريد الله ورسوله والدار الآخرة .

قالت : ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت .

* * *

فِرَاقُ الْحَبِيبِ ﷺ :

* البركة تلاحق أم المؤمنين عائشة في جميع أطوار حياتها، وخاصة حياتها مع النبي الكريم ﷺ، فقد حظيت بشرف عظيم وهو خدمة النبي ﷺ وتمريضه في بيته ، بعد أن استاذن أزواجه الطاهرات في ذلك، فاذن له أن يكون حيث أحب .

ومات ﷺ في حجرتها الشريفة، وروت أم المؤمنين عائشة وفاة النبي ﷺ فقالت :

إن من نعم الله علي أن رسول الله ﷺ توفى في بيتي ، وفي يومي ، وبين سحري ونحري ، وأن الله جمع بين ريقني وريقه عند موته ، دخل علي عبد الرحمن وبيده السواك ، وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه ، وعرفت أنه يحب

(١) الحديث متقد عليه ، واللفظ للبخاري ، انظر صحيح البخاري (٤٦/٦)، وتفسير ابن كثير (٣/٤٨٨ و٤٨٩)، والدر المنشور (٦/٥٩٦). والآياتان هما ٢٨ - ٢٩ من سورة الأحزاب .

السُّوَاكَ. فقلتُ: أَخْذُه لِكَ؟ فأشَارَ بِرَأْسِه أَنَّ نَعَمْ. فتَنَاهَلَهُ فَاشْتَدَ عَلَيْهِ، وقلتُ: أَلِيْهِ لِكَ؟ فأشَارَ بِرَأْسِه أَنَّ نَعَمْ، فلَيْسَتْهُ وَبَيْنَ يَدِيهِ رَكْوَةٌ أَوْ عَلْبَةٍ فِيهَا مَاءٌ، فجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي الْمَاءِ فَيُمْسِحُ بِهِ وَجْهَهُ وَيَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلنَّوْتِ سَكَرَاتٍ» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ^(١).

* كَانَ مَوْتُ النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثًا أَذْهَلَ الْعُقُولَ، وَفَزَعَ الْقُلُوبَ، وَرَوَعَ الْأَنْفُسَ، وَبِدَا النَّاسُ فِي شَانَهِ حِيَارَىٰ، وَلَكِنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ظَلَتْ ثَابِتَةً لِالْقَلْبِ وَالنَّفْسِ، كَمَا كَانَ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ثَابِتَ الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ أَيْضًا، وَلَهُ دُرُّ الصَّدِيقَيْنِ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ !

* وَدُفِنَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِ الصَّدِيقَةِ عَائِشَةَ فَنَالَتْ بِذَلِكَ شَرْفُ الدَّارِيْنِ، وَظَلَلتْ حَجْرَتَهَا قَبْلَةَ الْقُصَادِ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ لِيلَقُوا السَّلَامَ عَلَى النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ .

* وَمِنَ الْمَكَارِمِ الَّتِي اخْتَصَتْ بِهَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ أَنَّهَا رَأَتْ فِي نُومِهَا كَانُ ثَلَاثَةَ أَقْمَارًا سَقَطُونَ فِي حَجْرَتِهَا، فَقَالَ لَهَا سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ صَدَقْتِ رَوْيَاكَ دُفِنَ فِي بَيْتِكَ خَيْرٌ أَهْلَ الْأَرْضِ .

(١) الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ، وَانْظُرْ الْبَدَأَةَ وَالنَّهَايَا (٥/٢٣٩ وَ ٤٠/٢٤٠)، وَدَلَائِلُ النَّبِيَّ لِلْبَيْهَقِيِّ (٧/٢٠٦ وَ ٢٠٧).

بكر وعمر - رضي الله عنهمَا - وضمَّت بذلك الأقمار الثلاثة.

* ومن البركات التي تُضمُّ إلى بركات أمِّنا عائشة في هذا المجال حبُّ النَّبِيِّ ﷺ بيتها وحجرتها، وفي ذلك قال عليه الصَّلاة والسَّلَام: «لا يُقْبِضُ النَّبِيُّ إِلَّا فِي أَحَبِّ الْأَمْكَنَةِ إِلَيْهِ»^(٢)، وهكذا كان.

* * *

عائشةُ وحديثُ الرَّسُولِ ﷺ:

* أمُّ المؤمنين عائشة ذاتُ فضائل لا تُحصى، فهي مِن السَّبعةِ الَّذِينَ أَكْثَرُوا روايَةَ الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وقد تلقت الحديثَ عن النَّبِيِّ الْكَرِيمِ مباشرةً، ولها فضلٌ كَبِيرٌ في نَقلِ السُّنْنَةِ النَّبُوَّيَّةِ الفعليةِ، وتعليمها النَّاسَ.

* كما تُعتبر حجرتها الشَّرِيفَةُ المدرسة الأولى في الدنيا التي يُؤخذُ منها الحديثُ الشَّرِيفُ، وذكر الذهبي - رحمه الله - روايتها الحديث فقال: فروت عنه - ﷺ - علمًا طيبًا مباركاً فيه، وعن أبيها وعن عمرَ وفاطمةَ وسعدَ وحمزةَ بنَ عمرو

(١) عن أنساب الأشراف (١/٥٧٢) بتصريف يسبر.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (٢/١٣٥) حتى (١٣٩).

الأسلمي وجذامة بنت وهب، وروى عنها خلقٌ كثيرٌ لا يُحصون، وأورد الذهبي عدداً من الرواية أخذوا عن عائشة وهم من الصحابة والتابعين وأهل بيتها ومواليها، وعدد من النساء، واستغرق في ذلك قرابة مئة راوٍ.

* ويبلغ مسند أم المؤمنين عائشة ألفين ومئتين وعشرة أحاديث، اتفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بستة وستين^(١).

* ولعله من الفائدة ذِكر أسماء الصحابة المكثرين للرواية عن رسول الله ﷺ، الذين بلغت مروياتهم عنه أكثر من ألف حديث، وهم:

* سيدنا أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدؤسي - رضي الله عنه - ، روي له عن النبي ﷺ (٥٣٧٤) حديثاً.

* سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - ، روي له عن النبي ﷺ (٢٦٣٠) حديثاً.

* سيدنا أنسُ بنُ مالك - رضي الله عنه - ، روي له عن النبي ﷺ (٢٢٨٦) حديثاً.

* أمّا عائشة الصديقة بنتُ الصديق - رضي الله عنهما - ، روي لها عن النبي ﷺ (٢٢١٠) أحاديث.

(١) انظر المختصر لابن الجوزي ص (٩٢)، وتهذيب الأسماء واللغات (٣٥١/٢)، وسير أعلام النبلاء (١٣٩/٢).

- * سيدنا جابر بن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنهمَا ،
روي له عن النبي ﷺ (١٥٤٠) حديثاً .
- * سيدنا سعد بن مالك - أبو سعيد الخدري - رضي الله عنهمَا ، روی له عن النبي ﷺ (١٥٤٠) حديثاً^(١) .

وقد نظم أسماء هؤلاء السبعة بعض الفضلاء؛ فقال:

سبع من الصحب فوق الألف قد نقلوا
من الحديث عن المختار خير مضر
أبو هريرة سعد جابر أنس
صديقة وابن عباس كذا ابن عمر^(٢)

* * *

فَقِهُهَا وَعِلْمُهَا:

- * قال الإمام الذهبي - رحمه الله - عن أمّنا عائشة - رضي الله عنها - : أفقه نساء الأمة على الإطلاق .
- * وهذه حقيقة، فقد نشأت أمّنا عائشة - رضي الله عنها - في بيت الصدق، وعاشت في بيت النّبوة، ونهلت من المعين

(١) شذرات الذهب (٢٦١ و ٢٦٢) طبعة دار ابن كثير.

(٢) المصدر السابق (٢٦٤ و ٢٦٥).

النبي الصَّافِي، وشهدتُ أسباب نزول القرآن؛ ناهيك بـأَنْ حجرتها مهبط الوحي، فلا عجبٌ أَنْ تكون أفقه نساء الأمة، ولذلك شاع علْمُها، وانتشر فضلُها في الأمصار، وفاقتُ غيرها في معرفة الفرائض والسنن والفقه.

* استقلت عائشة - رضي الله عنها - بالفتوى في الخلافة الرَّاشدة وبعدها إلى أَنْ ماتت، وكان سيدنا عمر وسيدنا عثمان يرسلان إليها فسائلانها عن السنن.

* وسئلَ الإمام مسروق - رحمه الله - فقيل له: هل كانت عائشة تحسنُ الفرائض؟

قال: إِيَّاَنِي نفسي بيده، لقد رأيْتُ مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض.

* وقد عُيِّطَ عروة بن الزُّبير - ابن أختها - عندما قال عنه قُبيصة بن نَوَّيب: كان عروة بن الزُّبير يغلبنا بدخوله على عائشة، وكانت عائشة أعلم الناس^(١).

* * *

زُهْدُها وكرمُها:

* بلغت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أعلى درجات الزُّهد بعارضها عن الدنيا، وإقبالها على الله سبحانه

(١) انظر تهذيب التهذيب (٤٣٥/١٢).

قالية، وعن سرورها لاهية، وعلى فقد أليقها باكية.

* وكانت - رضي الله عنها - مضرب المثل في الرُّهْد، كما ضرب المثل في جودها، فلا يكاد المال يثبت بيدها لحظات إلا يكون من نصيب الفقراء، وبلغ من كرمها أنَّ وزعَت مئة ألف درهم في يوم واحد وهي صائمة، ولم تترك درهماً واحداً حتى قالت مولاً لها: لو اشتريت لنا من هذه الدرّاهم بدرهم لحماً، فقالت: لو قلْت قبل أنْ أفرِقها لفعلت.

أولىست ابنة الصديق الكريمة ابنة الكريم الذي أنفق ماله كلَّه في سبيل مرضاه الله؟!

* ورحم الله الإمام الذهبي إذ قال عنها: كانت أم المؤمنين من أكرم أهل زمانها ولها في السخاء أخبار^(١).

* وذكر عروة بن الزبير كرمها وسخاءها وزهدها فقال: لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفاً وهي ترتع درعها.

* * *

عبادتها وورعها:

* لا شكَّ أنَّ أمَّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - كانت

(١) سير أعلام النبلاء (٢/١٩٨).

الصَّفَقُ النَّاسُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتُعْتَبَرُ عِبَادَتُهَا صُورَةً وَضِيَّةً عَنْ
عِبَادَةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فَقَدْ كَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - تَكْثِيرُ مِنَ الصَّلَاةِ وَخُصُوصَةُ
صَلَاةِ اللَّيْلِ مَتَّسِيَّةً بِالنَّبِيِّ ﷺ.

* أَمَّا صُومُهَا، فَكَانَتْ تَصُومُ الدَّهْرِ كَمَا ذُكِرَ ذَلِكَ ابْنُ
الْجُوزِيِّ^(١).

وَأَمَّا الْوَرَعُ فَقَدْ احْتَلَتْ فِيهِ مَكَانًا عَلَيْهَا، وَاتَّصَفتْ فِيهِ
بِجُمِيعِ أَعْمَالِهَا، وَمِنْ وَرَعَهَا الْفَقِيمُ الْعَمَلِيُّ احْتَجَابُهَا عَنِ
الْأَعْمَى، فَقَدْ ذُكِرَ إِسْحَاقُ الْأَعْمَى قَالَ:
دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَاحْتَجَبَتْ مِنِّي، فَقُلْتُ: تَحْتَجِبِينَ مِنِّي
وَلَسْتُ أَرَاكَ؟

قَالَتْ: إِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَانِي فَإِنِّي أَرَاكَ^(٢).

* * *

أم المؤمنين والشعر:

* قَالَ مُوسَى بْنُ طَلْحَةَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَفْصَحَ مِنْ عَائِشَةَ.
نَعَمْ، كَانَتْ بِلِيْغَةً فَصِيحَةً حَكِيمَةً؛ تَلَقَّتْ حُكْمَتَهَا وَبِلَاغَتَهَا
مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَرَفَدَتْهُ بِأَدَبِ النَّبُوَّةِ، وَنَشَّاتَ فِي بَيْتِ أَبِي

(١) انظر صفة الصفوة (٣١/٢)، أي تصوم يوماً وتغطر يوماً.

(٢) طبقات ابن سعد (٦٩/٨).

ليس ما أسلم الناس بالسابق للغرب والمسلمين.

وممَّا يتوافق مع هذا ما رُوي أنَّ شاعرَ الرَّسُول ﷺ حسان بن ثابت، لما أراد أنْ يهجوًّ مشركي قريش قال له رسول الله ﷺ: «كيف تهجوهم وأنا منهم، وكيف تهجو أبا سفيان ابن عمِّي»؟^(١).

فقال له حسان: والله لأستنكَ منهم كما تُسلِّ الشِّعرة من العجين.

فقال له رسول الله ﷺ: «إنتِ أبا بكر فـإنه أعلم بـأنـسبـ القومـ منـكـ».

فكان حسان يجيء إلى أبي بكر ليوقفه على أنسابهم، فجعل يهجوهم، فلما سمعوا هجوء قالوا: إنَّ هذا الشِّعر ما غاب عنه ابنُ أبي قحافة^(٢).

* كانت أمُ المؤمنين رضوان الله عليها تُوصي بتعليم الأولاد والناشئة القرآن ثم الشِّعر والأدب، لتعذب ألسنتهم، وترقِّ طباعهم، وتهذِّب نفوسهم، ومن الظرِيف أنَّها كانت تروي ألف بيت للبيهقي بن أبي ربيعة وحده، وكانت تقدِّرُ شِعْرَ حسان بن ثابت وتدافع عنه.

(١) اقرأ سيرة الصحابي الجليل «أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب» في كتابنا رجال مبشرتون بالجنة الجزء الثاني.

(٢) انظر السيرة الحلبية (٦٢٠ / ٢).

وقد شهد لعائشة بحُسن الحفظ عددٌ من الصَّحابة والتَّابعين حتى قيل: ربِّما روت عائشة القصيدة سِتِين بِيَّاً والمائة بيت^(١).

وقلما كان يحدث لها مِنْ أَمْرٍ إِلَّا وأنشدَتْ فيه شِعْرًا يَلَاثَم ذلك المَقَام ، ومن أَمْثَلَه ذلك ما رواه الأصبهاني في الحلية أَنَّهَا رأَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً يَعْرُقُ جَبِينَهُ، ثُمَّ جَعَلَ عَرْقَهُ يَتَوَلَّ نُورًا، فَتَمَثَّلَتْ بِقَوْلِ أَبِي كَبِيرِ الْهَذَلِيِّ :

إِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَسْرَةِ وَجْهِهِ
بِرْقَتْ بِرْوَقِ الْعَارِضِ الْمَتَهَلِلِ
* وَكَانَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَثِيرًا مَا تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:
يَجْزِيكَ أَوْ يَثْنِي عَلَيْكَ وَإِنْ مَنْ
أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ كَمَنْ جَزِي^(٢)
وَمِنْ أَرْوَعِ وَفَقَاتِهَا مَا قَالَهُ عِنْدَمَا حَضَرَتْ وَالدَّهَا الْوَفَاءِ إِذ
تَمَثَّلَ بِقَوْلِ حَاتِمَ :

لِعُمْرِكَ مَا يَغْنِي الشَّرَاءُ عَنِ الْفَتِي
إِذَا حَشَرْجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
فَقَالَ: لَا تَقُولِي هَكَذَا يَا بَنِيَّ، وَلَكِنْ قُولِي: هَوْجَامِتْ

(١) انظر في هذا طبقات ابن سعد (٧٣/٨).

(٢) انظر عيون الأخبار لابن قتيبة (١٦٢/٣).

* ولما توفي أخوها عبد الرحمن بمكة، قدمت إليها وزارته وتمثلت بشعر مُتمم بن نويرة في أخيه مالك فقالت:

وكنا كندمانى جذيمة برها
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأبي ومالكا
لطول اجتماع لم نَبْت ليلةً معاً^(١)

* ونختِم هذا الفصل بكلام طيب، فقد سمع النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عائشة وهي تنشد شعر زهير بن حباب:

ارفع ضعيفك لا يَحْلُّ بك ضعفه
يوماً فتدركه عواقب ما جنى
يجزيك أو يثني عليك وإنْ مَنْ
اثنى عليك بما فعلت كمن جزى
قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صدق يا عائشة لا شكر الله من لا يشكر الناس»^(٢).

* ورحم الله الإمام الجليل عامر الشعبي الذي كان

(١) انظر: البداية والنهاية (٨٩/٧)، وأعلام النساء (١٢٠/٣).

(٢) أعلام النساء (١٢٠/٣).

يتعجبُ من فقهِ وعلمِ وأدبِ عائشةٍ ويقولُ: ما ظنكم بآدَبِ
النُّبُوَّةِ^(١)؟

* * *

أمُ المؤمنين والطَّبْ:

* أثَرٌ عنْ أمِّنا عائشةَ - رضي اللهُ عنها - معرفتها الطَّبْ،
حتى أثارَ هذا العجبُ ابنَ أختها عروةَ بنَ الزبيرِ وقالَ لها: يا
أمِّنا لا أَعْجَبُ مِنْ فهمكَ، أقولُ زوجةُ رسولِ اللهِ وبنَتِ أبي
بكرٍ، ولا أَعْجَبُ مِنْ علْمِكَ بالشِّعرِ وأيَّامِ النَّاسِ، أقولُ ابنةَ
أبي بكرٍ وكانَ مِنْ أعلمِ النَّاسِ! ولكنَّ أَعْجَبُ مِنْ علْمِكَ
بالطَّبْ كَيْفَ هُوَ وَمَنْ أَيْنَ هُوَ؟ .

قالَ: فَضَرِبَتْ عَلَى مِنْكِهِ وَقَالَتْ: أَيْ عُرْبَةَ - تصغيرُ
عروةَ - إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْقُمُ عِنْدَ آخِرِ عمرِهِ، فَكَانَتْ
تَقْدُمُ عَلَيْهِ وَفُودُ الْعَرَبِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ فَتَعْتَتْ - تَصِيفُ - لَهُ
الأنْعَاتِ، وَكَنْتُ أَعْالِجُهَا لَهُ، فَمَنْ ثُمَّ^(٢) .

* ولعائشةَ - رضي اللهُ عنها - أقوالٌ تشيرُ إلى معرفتها
الطَّبْ، وَحَسِنَ تَعْلِيلُهَا لِلأَمْورِ، وَقُوَّةُ ملاحظَتِهَا، نَاهِيكَ بِنَعْمَةِ
الذِّكَاءِ الَّتِي حَبَّاَهَا اللهُ .

(١) انظر: أنسابُ الأشرافِ (٤١٦/١).

(٢) انظر: الحلية (٥٠/٢)، وَسِيرُ أعلامِ النَّبِيَّ (١٨٢/٢)، ومجمِعُ
الزوائدِ (٢٤٢/٩)، وَالفتحُ الربَّانيِّ (١٢٤/٢٢).

وقولها أيضاً: لا سَهْرَ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ: مُصْلٌ، أَوْ عَرْوَسٌ، أَوْ مَسَافِرٌ^(٢).

وهذا التَّحْلِيل يدل على معرفتها بضرر السَّهْر وعواقبه الْوَحِيمَة على الصَّحَّة.

* * *

مِنْ غُرَّرِ أَقْوَالِهَا:

* ذكر الأعمش - رحمه الله - عائشة فقال: كان يُقال إن عائشة رجولة الرأي^(٣).

* نَعَمْ فَكُلُّ مَا أُثِيرَ عَنْ أُمِّنَا عائشة من أقوال مباركة تدل على فهمها وعقلها الناضج الذي تأثر بالقرآن وفيض النبوة؛ ولأم المؤمنين عائشة أقوال رائعة لو كُتِبَتْ بماء الذهب لكان قليلاً، اسمع إلى قولها عن المرأة: المِغْرُزُ بِيَدِ الْمَرْأَةِ، أَحْسَنُ مَنْ الرُّمْحِ بِيَدِ الْمَجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله^(٤).

(١) عيون الأخبار (٢٠٢/٣).

(٢) المصدر السابق (١٤١/١).

(٣) أنساب الأشراف (٤١٧/١).

(٤) أعلام النساء (١١٨/٣).

* ومن نفائس أقوالها المباركة: التمسوا الرِّزقَ في خبايا
الأرض.

* وفي التماس مرضاه الله كانت تقول: مَنْ عَمِلَ بِمَا
يُسخطُ اللَّهُ عَادَ حَامِدًا مِنَ النَّاسِ لَهُ ذَاماً.

* ومن أجمل أقوالها وأنصعها في هذا المجال قولها:
إِنَّكُمْ لَنْ تَلْقَوْا اللَّهَ بِشَيْءٍ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ قَلْةِ الذُّنُوبِ، فَمَنْ سَرَّهُ
أَنْ يُسِيقَ الدَّائِبَ الْمُجَتَهِدَ فَلِيَكْفُفْ نَفْسَهُ عَنْ كَثْرَةِ الذُّنُوبِ.

* وسئلَتْ - رضي الله عنها - : متى يكون الرجل مسيئاً؟
فقالتْ: إذا ظنَّ أنه محسن^(١).

* وكانت عائشةُ - رضي الله عنها - أفقه النِّسَاء وأعلم
النِّسَاء رأياً في العامة، ولها في هذا رأي في الانصار وحسن
الثقة بهم قالت: ما تبالي المرأة إذا نزلت بين بيتيين من
الانصار صالحين لا تنزل من أبيها^(٢).

* * *

عائشة في ظلَّ الخلفاء:

* حظيت أم المؤمنين عائشة - رضوان الله عليها - بالمكانة
اللائقة في حياة الخلفاء الرَّاشدين، وكانت مرجعاً من أهم

(١) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/١٦).

(٢) عيون الأخبار (٣/٢٣)، وصفة الصفة (٢/٣٢)، والزهد للإمام
أحمد ص (٢٠٦).

ولم تكن بمنأى عن الأحداث التي مررت بال المسلمين خلال حياتها التي اقتربت من السبعين لا قليلاً، وكان لها مواقف مشهورة، وأثاراً معروفة في الأحداث السياسية والاجتماعية التي مررت بعد مقتل سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه -.

وقد سجلت لنا كتب التاريخ كثيراً من الأحداث التي تركت فيها أم المؤمنين عائشة لمسات بارزة تشير إلى صورة العصر آنذاك^(١).

* * *

وَدَاعَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ :

* شعرت عائشة - رضي الله عنها - بقرب اللقاء مع الله سبحانه، واشتاقت إلى الذين سبقوها إلى الدار الآخرة، وكان المرض قد اشتد عليها فلزمت فراشها، وجاء سيدنا عبد الله ابن عباس - رضي الله عنهم - يستاذن عليها، وعند رأسها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن، فاذنت له، ولما دخل قال لها:

(١) من أراد الاسترادة في هذا الموضوع فليرجع إلى كتاب أعلام النساء (٣٠ / ٣) وما بعدها، فيه تفصيل كثير.

أبشرى فما بينك وبين أن تلقى محمداً عليه السلام والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد.

ثم جعل ابن عباس يذكر فضائلها، ولما أنهى حديثه قالت له:

دعني منك يا ابن عباس فوالذي نفسي بيده لوددت أنني كنت نسياً منسياً^(١).

* وتوفيت أم المؤمنين عائشة ليلة الثلاثاء (١٧) رمضان سنة (٥٨) من الهجرة، التي توافق عام (٦٧٨) من الميلاد، وهي أبنة ست وستين سنة، ودفنت بالبقيع من ليلتها بعد صلاة الوتر، واجتمع على جنازتها أهل المدينة وأهل العوالى، وقالوا: لم تر ليلة أكثر ناساً منها، وصلّى عليها أبو هريرة - رضي الله عنه -، ونزل في قبرها خمسة من محارمها^(٢).

* وكان لوفاتها كبير الأثر في حياة المسلمين، وحزنوا عليها أشد الحزن حتى إن الإمام مسروق - رحمه الله - قال: لو لا بعض الأمر لأقمت المناحة على أم المؤمنين^(٣) - رضي الله عنها - !

(١) عن طبقات ابن سعد (٨/٧٥)، وصفة الصفة (٢/٣٧ و ٣٨) يتصرف.

(٢) انظر طبقات ابن سعد (٨/٧٧)، وتهذيب الأسماء واللغات (٢/٣٥٢).

(٣) انظر سير أعلام البلاء (٢/١٨٥).

المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - لما سمعت الصرخة
على عائشة قالت: والله لقد كانت أحب الناس إلى رسول
الله ﷺ إلا أباها.

وذكر البلاذري في «أنساب الأشراف» أنَّ أمَّ سلمة جعلت
تقول: رحمك الله وغفر لك، وعرفنيك في الجنة.

* وكفى أم المؤمنين عائشة فخراً أنَّ العلماء والفقهاء
ومؤرخي الكتاب قد تسابقوا إلى نشر فضائلها، وما زالوا
ينشرون هذه الفضائل إلى ما شاء الله.

* * *

بشارتها بالجنة:

* قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهُدِيهِمْ
رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ
النَّعِيمِ * دُعَا هُنَّمْ فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَتَحِيَّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ
وَآخِرُ دُعَاهُمْ أَنِّي الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [سورة يومن]:

١٠٩.

* أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها وأرضها - من أشهر
نساء الإسلام إن لم تكن أشهرهن، كانت بركة على الإسلام
وال المسلمين في أطوار حياتها، وخصوصاً في العهد النبوي،

فقد صُنعت على عين رسول الله ﷺ لتغدو فيما بعد المرأة المثالية في عالم الإسلام.

* وقدّمت أمّنا عائشة - رضي الله عنها - كلّ خير للرسول الكريم ﷺ، ووفرت له سُبُل الراحة ووسائلها، فنالت البشارة بالجنة مراراً وفي مواقف متعددة.

* من ذلك أنَّ جبريل عليه السلام جاء بصورة عائشة في حرقة حرب خضرة إلى النبي الكريم ﷺ فقال: «هذه زوجتك في الدنيا والآخرة»^(١).

* وفي حديث آخر ترويه أمّنا عائشة يكشفُ عن بشارتها بالجنة قالت:

قلت: يا رسول الله منْ مِنْ أزواجك في الجنة؟.
قال: «أما إنك منهن».

قالت: فخَيل إلىَّ أنَّ ذاك لأنَّه لم يتزوج بكرأً غيري^(٢).

* وفي هذا الحديث إشارة إلى أنَّ زوجات النبي الطاهرات كلُّهن مبشرات بالجنة إن شاء الله.

* وقد استقرَّ في نفوس الصحابة الكرام أنَّ أمّنا عائشة حظيت بتكريم الله والبشارة العظمى في الجنة، فهذا سيدُنا عمَّار بن ياسر - رضي الله عنه - يقول على المنبر: إنَّها لزوجة

(١) الحديث رواه الترمذى في المناقب برقم (٣٦٤٣).

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (٢/١٤٥).

* وروى الإمام أحمد - رحمة الله - بشاره عائشة - رضي الله عنها - بالجنة فذكر أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِنَّهُ لِيَهُوَنُ عَلَيَّ أَنِّي رأَيْتُ بِيَاضِ كَفِ عَائِشَةَ فِي الْجَنَّةِ»^(٢).

* وبعد، فهذه لمحات مباركة من حياة الصديقة عائشة ، أرجو أن أكون قد وفقت في عرضها، رضي الله عنها وأرضها، ونصر قبرها، وقبل أن نقول وداعاً أمّنا الصديقة نقرأ قول الله تعالى: «إِنَّ الْمُتَقِّنَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعِدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ» [القرآن: ٥٤ و ٥٥].

* * *

(١) الحديث أخرجه البخاري في الفتن، والترمذني في المناقب، وانظر طبقات ابن سعد (٦٤/٨)، والحلية (٤٤/٢).

(٢) انظر الفتح الرباني (١١١/٢٢)، والبداية والنتهاية (٩٢/٨).